

مجلة المجمع العلمي العراقي

مكتبة المجمع
بغداد

المجلد السابع عشر

(١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م)



نطبعة المجمع العلمي العراقي

بغداد ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م

خُرَائِطُ كِتَابِ الْأَقَالِيمِ لِاصْطَخْرِيِّ

الدكتور إبراهيم شوكة

هذه مجموعة الخرائط التي جاءت بكتاب الاقاليم وهي نسخة (غوتا) يرجع تاريخها الى السنة ٥٦٩ هجرية (١١٧٣ م) ولقد رجعت في تحقيق الاسماء في الخرائط الى اكثر من خمس نسخ مختلفة منها ما هو مترجم الى الفارسية كالنسختين اللتين في ليننغراد والباقيات الثلاث نسخة ليدن وبولونا وهمبورك^(١). وأخيراً ما صدر عن وزارة الثقافة والارشاد بالمربية المتحدة وبعنوان المسالك والممالك، ونسخة اخرى مترجمة للفرسية وهي نسخة فينا المترجمة الى الالمانية وعنوانها (صور الأقاليم)^(٢)، ويعتبر الاصطخري بتأليفه كتاب الاقاليم هذا وبخرائطه مؤسس اول مدرسة عربية في الجغرافية تختص بخرائط الاقاليم، وكل اقليم قائم بذاته كوحدة ادارية عرفت في اواسط القرن العاشر وهي تتماشى مع التنظيمات الادارية للعالم العربي آنذاك، ويطلق الاصطخري على هذه الاقاليم او الوحدات الادارية اسم الممالك تارة، وارض كذا، وديار كذا، أو بلاد كذا، في احايين اخرى وذلك في متن كتابه هذا. إن هدف تأليف الكتاب هذا هو تصوير البلاد بمحدودها وانهارها وبحيراتها وجبالها وسككها ودروبها ومدنها المختلفة. ويعمد في متن الكتاب الى شرح كل ذلك فيدخل

(١) كل هذه الخرائط صورت في كتاب (مايا اريبكا) لمؤلفه مولر وقد استندت اليها اصلاً وما ترجم منها الى الالمانية.

(٢) تحقيق هانز مزريك ١٩٦٥.

في امور تتعلق بالاقتصاد والانتاج والرسوم والعادات من لباس وغيره . وجل ما يذكره عن البلاد الاسلامية قد بنى على المشاهدة والعيان .

لقد رسم الاصطخري واحداً وعشرين خريطة ووضع في اول الكتاب خريطة العالم مدورة ووضع عليها اشكال البلاد المختلفة بصورة عامة بنسب تماشى مع الشكل والواقع كي يلم القاري بها ، وتتجلى اهميتها في مقارنة بعضها ببعض ، وهذه الخريطة مفقودة في نسخة كتاب الاقاليم هذه وهي موجودة بباقي النسخ التي عرفت بعناوين مختلفة . وكذلك سقطت في الكتاب صورة ديار العرب (الجزيرة العربية) وهي كذلك موجودة بنسخ اخرى .

ولقد اقدمت على نشر هذه الخرائط الآن بمناسبة طبع كتاب الاقاليم بالأفست^(١) مع الخرائط ، وقد جاء الكتاب غير منقط ، وكذا الخرائط ، وعدم التنقيط هذا يسبب اختلافاً كبيراً في قراءتها فكل نبرة في الخط يمكن قراءتها كباء ، او تاء ، او ثاء ، او ياء ، او نون وكذا حدث عن - الحاء - والحاء والجيم . وإذا ما شككت هذه فعدد قراءات الكلمة الواحدة يعد بالعشرات ويتناسب مع التواليات العددية في علم الرياضيات وقد يتجاوز ذلك المائة قراءة اذا تعددت النبرات في الكلمة الواحدة كي (بنخكت) .

ولقد آمنت ما كان قد اهل كتابته المؤلف في مواضع كان قد رسم مواقعها ، ولم يكتب ازاءها شيئاً . ولقد سمي هذا الكتاب مختلف التسميات منسباً كتاب الاشكال وكتاب الاقاليم وصور الاقاليم ، وصفة البلدان والمسالك والممالك ... الخ .

ثم ذهب الناس في نسبة الكتاب شيعاً ، منهم من قال انه لأبي زيد البلخي الشامستاني ومنهم من قال للاصطخري فكان موضع نزاع بين الاثنين كما يقول ياقوت^(٢) [قرأت في الكتاب المتنازع بين أبي زيد البلخي وأبي اسحق الاصطخري في صفة البلدان ... الخ] . وذهب آخرون الى ان هذا الكتاب للاصطخري ومعول على ما كتبه أبي زيد البلخي هذا . ولقد اعترف اكثر من بحث في أمر هذا الكتاب بأنه لم يصلنا شيء مما

(١) طبع ونشر من قبل مكتبة لثني ببغداد .

(٢) صفحة ١٢٢ ، معجم البلدان ، جزء ٧ الطبعة الاوربية .

كتبه أبي زيد البلخي وذهب كراچكوفسكي^(١) الى انه [ثبت بعد الفحص الدقيق ان بعض المخطوطات التي نسبت في فهارس المخطوطات أو حتى في الاصل الى البلخي إنما تنسب في الحقيقة مسودات لمصنف الاصطخري أو ابن حوقل] ١ هـ .

ونستبين مما كتبه المقدسي في احسن التقاسيم^(٢) بقوله [ورأيت كتاباً بخزانة الصاحب ينسب الى أبي زيد البلخي ورأيت بعينه بنيسابور وقد حمل من عند الرئيس أبي محمد الميكالي غير مترجم زعموا انه من تصنيف ابن المرزبان الكرخي ورأيت ببخارا مترجماً لابراهيم بن محمد الفارسي (الاصطخري) وهذا اصح لأنني رأيت جماعة ممن لقيه وشاهده يصنفه منهم الحاكم أبو حامد الهمداني ... وهو كتاب قد أجاد اشكاه إلا انه خلط في مواضع كثيرة] .
مما تقدم يتضح ان الكتاب هذا للاصطخري لم يشاركه به احد ولم يعول بتأليفه على احد من الناس وبهذا يعتبر الاصطخري أباً لمدرسة اصيلة تعتبر فتحاً في علم الجغرافية عند العرب . ولم يؤلف الكتاب نقلاً عن كتب أو كراريس الا في مواضع قليلة بل اسست عند اكثره الى المشاهدة والعيان فلقد جاب الاصطخري البلدان ووطأ اكثر ارض الامبراطورية الاسلامية في القرن العاشر الميلادي فرسم اطلسه هذا وعلق عليه واوضحه وشرح كتبه فجاء مثلاً احتذاه غيره فيما بعد .

ولو رجعنا الى الفهرست^(٣) لابن النديم والى معجم الادباء لياقوت وقد اسهب الاثنان بترجمة البلخي (أحمد بن سهل) لما وجدنا من بين مؤلفاته كتاب الاقاليم او صور الاقاليم ولما وجدنا قولاً بمعنايته بعلم تقويم البلدان ، وجل ما نجد فيه ان البلخي قد كتب مؤلفاً في تفسير ما ألفه أبو جعفر الخازن وعنوان (كتاب تفسير صور السماء والعالم) والراجح عندي ان تفسير الصور هذا أوحى لبعض المستشرقين والكتاب بأن ينسبوا (صور الاقاليم) الى البلخي خاصة وان البلخي هذا كان باتصال وثيق بالوزير الحسيني

(١) جزء ١ صفحة ١٩٩ .

(٢) احسن التقاسيم صفحة ٥ ، الطبعة الاوربية .

(٣) صفحة ١٩٨ الطبعة المصرية .

الذي عرف عنه انه يعني بعلم الجغرافيا وانه ألف في الممالك الشرقية كتاباً وان البلخي تتلمذ على يد أبي يعقوب يوسف الكندي وهو الفيلسوف المعروف .

وقد عني استاذة هذا ايضاً بتقويم البلدان فذاع بذلك صيت البلخي كمؤلف لكتابه المذكور خطأ بينما نجد ان الاصطخري كان نكرة في زمانه ولم يدع له صيت بعد اللهم الا ما جاء عنه عند ابن حوقل ^(١) الذي لقيه واطلع على مؤلفه ووجه له الانتقاد وتبادل معه الاراء وصلاح قسماً من خرائطه بعد ما اطلعه على ما عنده من خرائط وانفرد ابن حوقل بتأليف كتابه الذي لا علاقة له بما كتب الاصطخري فنظرة واحدة على الخرائط تثبت ذلك.

يقع المخطوط بمائة وست وعشرين صفحة قد اكل بعض اسطرها الدود او ان كر الجديدين قد اسلمها للبلبي ، ولم يمنع هذا الامر من دراسة المخطوط على ضوء المصادر المذكورة آنفاً وتاريخ المخطوط هذا مكتوب بزمن يتأخر عن زمن المؤلف بقرنين وربع قرن . اذ ان تاريخ كتابة المؤلف من قبل صاحبه هو سنة ٩٥٠ م . اي منذ نيف وalf سنة ولعل اهم ما في المخطوط هذا خرائط الأقاليم المختلفة والمفاهيم الجديدة التي طلع المؤلف بها على العالم وتعتبر فتحاً جديداً في علم الجغرافيا . وكذلك بمفهوم جديد للأقاليم يختلف عن معناها عند من تقدمه من الجغرافيين ، اذ ان مفهوم الأقاليم عند من سبقه تقسيم الارض حسب درجات العرض على صفة مناطق تمتد موازية لخط الاستواء وبذا قسموا الارض الى سبعة اقاليم وكل اقليم يحوي في اكثر الاحيان اجزاء لبلاد واحدة قد وضع قسم منها في اقليم واخرى في ثان . بينما نجد المؤلف قد قسم العالم الاسلامي (وهو لم يبحث الا عن البلاد الاسلامية) الى اقاليم وخص كل واحد منها بخريطة (صورة) وحددها بمحدودها الادارية التي كانت قائمة في القرن العاشر الميلادي وهو ما عاصر كتابة المؤلف الذي يذكر فيه انه قسم الارض حسب الممالك .

وكانت هذه الاقسام واسماء صورها (خرائطها) وعدد ما جاء فيها من الاسماء للمدن والعوارض الطبيعية من جبال وانهار وبحيرات كما يلي :

(١) صورة الارض ج ٢ ، ص ٣٢٩ .

عدد الاسماء	الصورة
وهي مفقودة	١ - صورة ديار العرب
٧٢ إسماً	٢ - صورة العراق
« ٦٤	٣ - صورة بلاد الجزيرة
« ١١٤	٤ - فارس
« ٥٥	٥ - الهند
« ٤٥	٦ - بحر فارس
« ٦٣	٧ - ديار المغرب
« ٨٣	٨ - الشام
« ٣٥	٩ - مصر
« ٦٢	١٠ - الجبال (قهستان)
« ٧٧	١١ - ارمينية واران واذربيجان
« ٦٠	١٢ - بحر الرور (البحر المتوسط)
« ٥٩	١٣ - خوزستان
« ٦٥	١٤ - كرمان
« ٥١	١٥ - طبرستان والديلم
« ٣٣	١٦ - بحر الخزر
« ٤٤	١٧ - مفازة بين فارس وخوزستان
« ٥٦	١٨ - سجستان
« ١٣٨	١٩ - خراسان
« ١٣٩	٢٠ - ما وراء النهر
مفقودة	٢١ - خريطة للارض جماء

والمعروف ان الاصطخري صنع واحداً وعشرين خريطة اولها للعالم اجمع فلقد رسم العالم على هيئة دائرة يحيط بكل جوانبها البحر المحيط ثم رسم مختلف بقع الارض (الممالك) كل واحدة على هيئتها بالنسبة الى بعضها البعض كما يعرف كل جزء بالنسبة الى الاجزاء الاخرى ولم يفصل بهذه الطريقة بل وضع للعالم البارزة التي رسمها للاقليم مع الحدود وعددها عشرون خريطة . وضعتها في آخر البحث كما جاءت بالكتاب وعددها ١٩ خريطة اما مميزات هذه الخرائط فهي :-

١ - ان الخرائط خالية من مقاييس الرسم ولكن النسب الموجودة والابعاد بين المدن وغير ذلك من العوارض يستشف منها شكل البلاد العام الذي يقرب فعلاً من الخرائط الحديثة ذات المقاييس الرسمية الصحيحة .

٢ - ان توجيه الخرائط عادة هو ان توضع الخريطة مقلوبة فالشمال الى اسفل والجنوب الى اعلى والشرق الى اليسار والغرب الى اليمين بخلاف ما ألفناه في توجيه الخرائط اليوم .

٣ - لقد رسمت الانهار باللون البني الغامق وكل الانهار مستقيمة المجرى كي يصدق عليها قول جغرافي العرب عن الانهار الكبار والتي ينعتونها بالعمود فيقولون (عمود الفرات) و (عمود سيحون) فهم يسمون العمود فعلاً كي يصدق الرمز القول وخلقوا من التعاريج . وقد رسم بعضها بأحناءات كبيرة كما جاء في رسم الفرات .

٤ - اما البحيرات (وترسم كدوائر) أما البحار فترسم بالاخضر لا بالازرق كما هي الحال اليوم .

٥ - والمدن ترسم بالاصفر والاحمر على اشكال مختلفة منها ما هو على شكل اوراق الورد . ومنها ما هو بشكل مستطيل تعلوها قبة صغيرة او دوائر صغيرة ملونة . اما امهات المدن فترسم كدوائر دخلة الواحدة في جوف الاكبر منها ويبلغ من دائرتين الى ثلاث ويلون داخلها اما بالاصفر او الاحمر ، ومنها لا تلون دواخلها بالمرّة اما اسلوب التساوين فاختلف اللونين الاصفر والاحمر بين واحدة واخرى فهو تزيين اكثر من ان تكون له اهمية جغرافية .

٦ - ترسم الجبال على هيئة الصورة والمنظر الفوتوغرافي مجسمة وتصنع عادة باللون البني والاحمر الغامق .

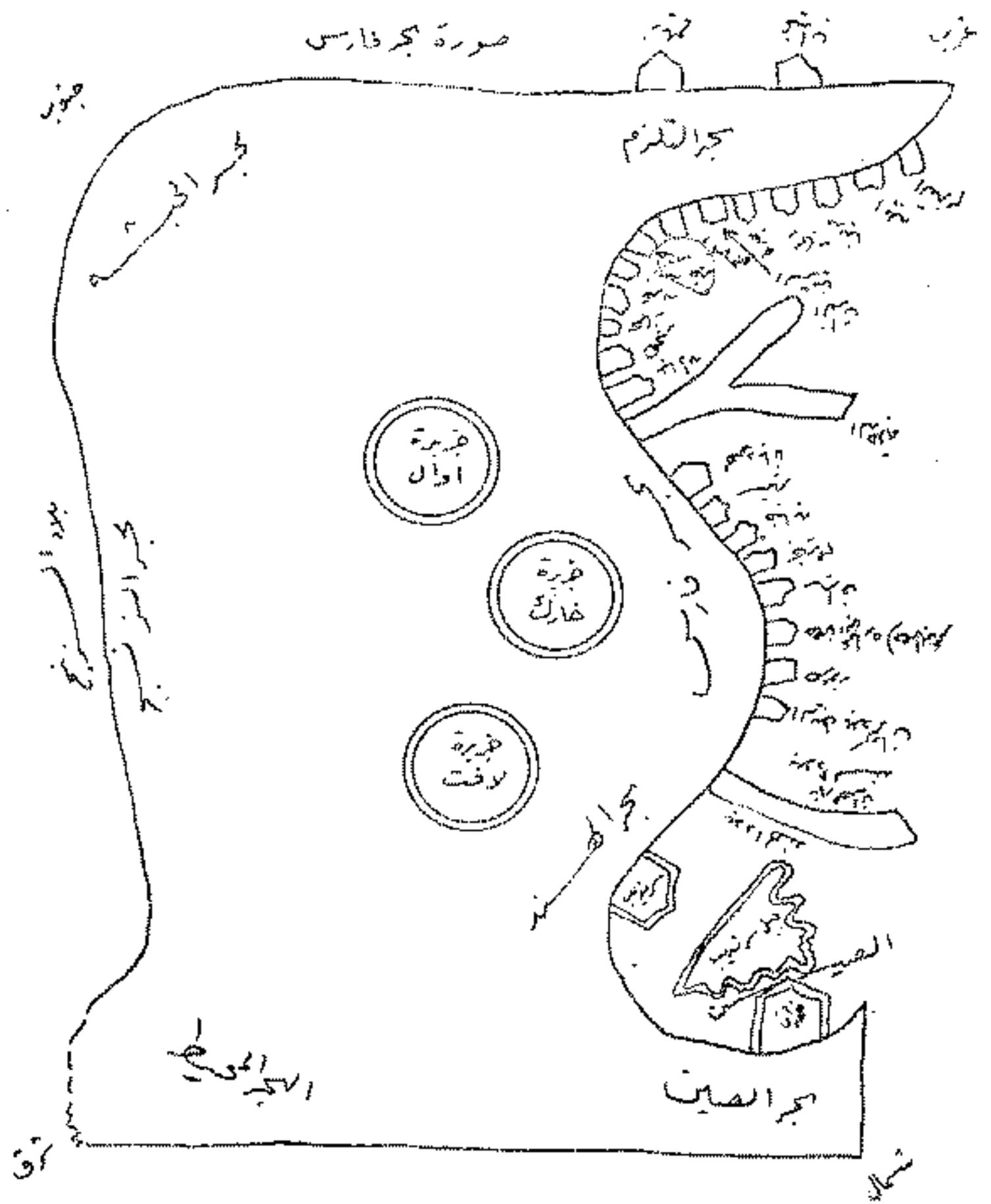
٧ - اما طرق المواصلات فهي خطوط حمر (كما هو اليوم) مستقيمة أو منحنية بصورة منتظمة وكذلك الحدود الخارجية للاقليم .

٨ - اما الصحاري (المقاذات) فت رسم بشكل المستطيل او المستدير وتلون بلون رمالها المشهورة فهي اما ان تكون حمراء أو بنية أو صفراء ثم تبعثر في وسطها نقط صغيرة للدلالة على الرمال .

٩ - ان خطوط الرسم والحبر الذي يستعمل في التخطيط قاطبة من مدن وعوارض ... الخ هو اللون الاحمر بدل الاسود الذي يستعمل اليوم .

١٠ - اما الخط الكوفي للعناوين والعوارض المشهورة والبحار المعروقة وخط النسخ لباقي الاسماء . واما الكلمات فالغالب عليها عدم التنقيط مما يضطر الباحث الى البحث الطويل الشاق لتثبيت هذه النقط فتقرأ قراءة صحيحة . ومن لم يألف قراءة المخطوطات يكاد يستحيل عليه فهمها أو تلفظها .

١١ - لا ترسم البحيرات بالنسبة الى شكلها الواقعي بل تكون دائرة الشكل دوماً في خرائطه وتلون بالاخضر على غرار ماء البحر .



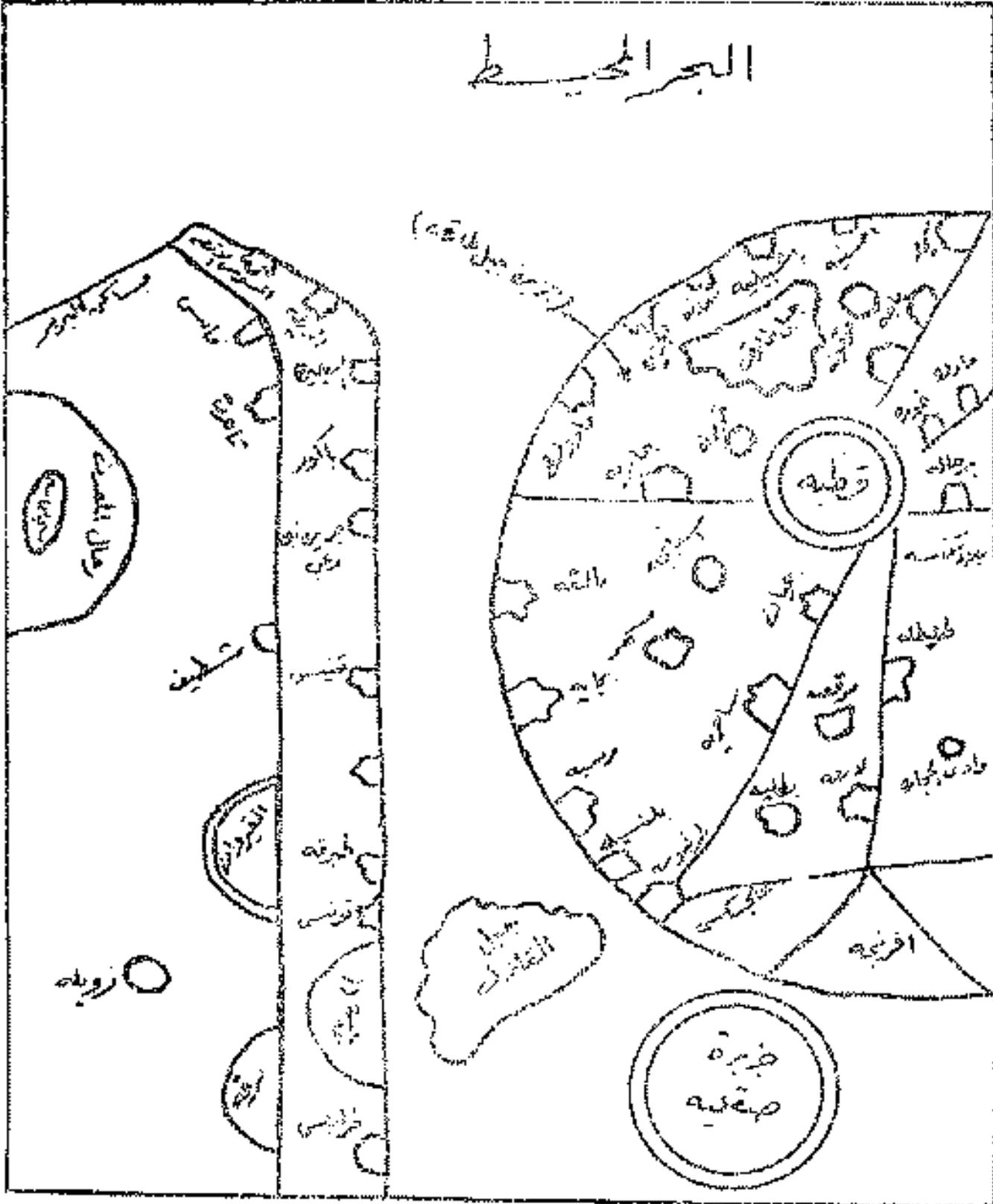
خريطة رقم ١

صورة المغرب

المغرب

الجزيرة

البحر المحيط



بلاد السودان

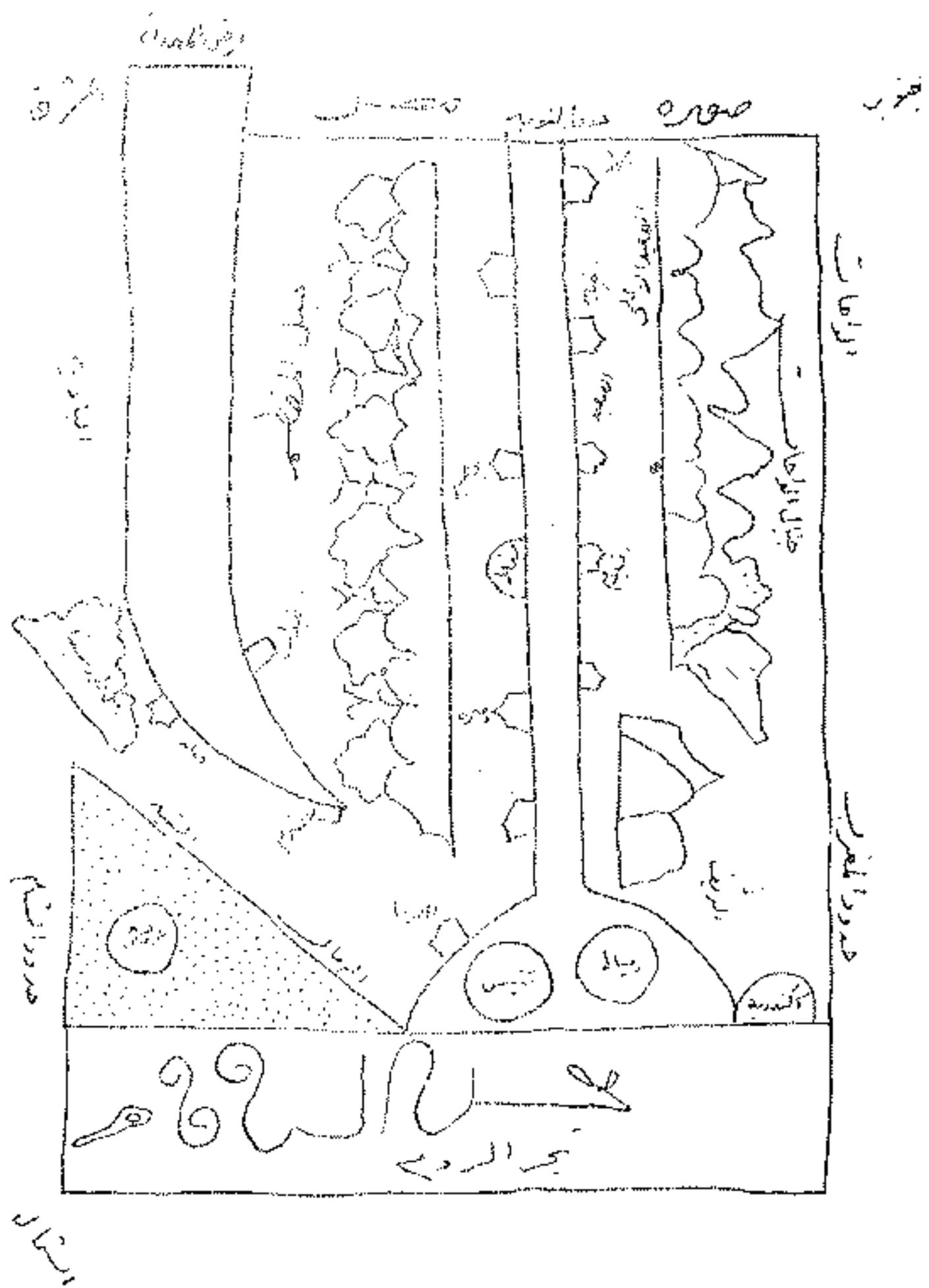
ظهر الواحات

بلاد المغرب من المغرب

بلاد المغرب

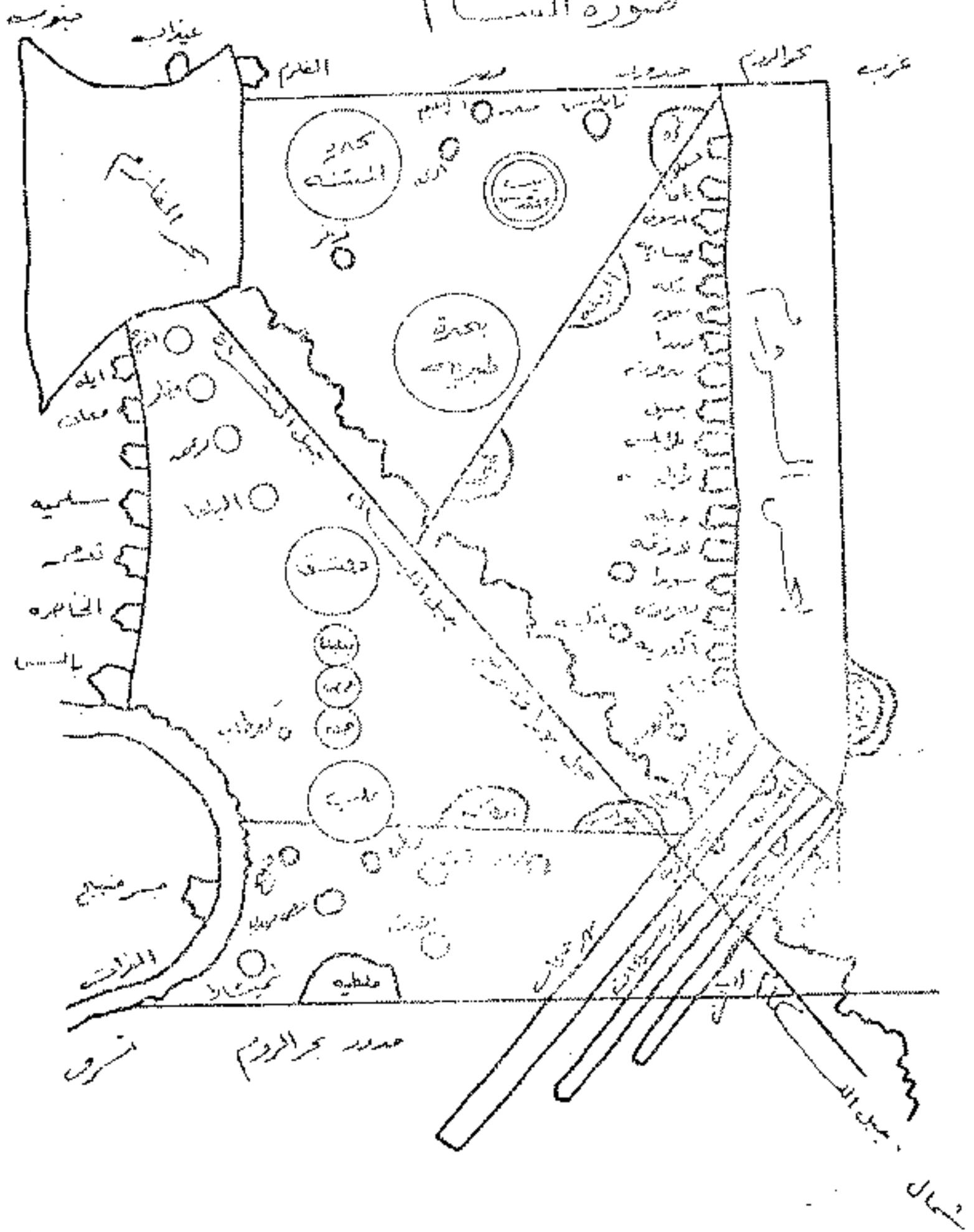
المغرب

خريطة رقم ٢



خريطة رقم ٣

صورة المساء

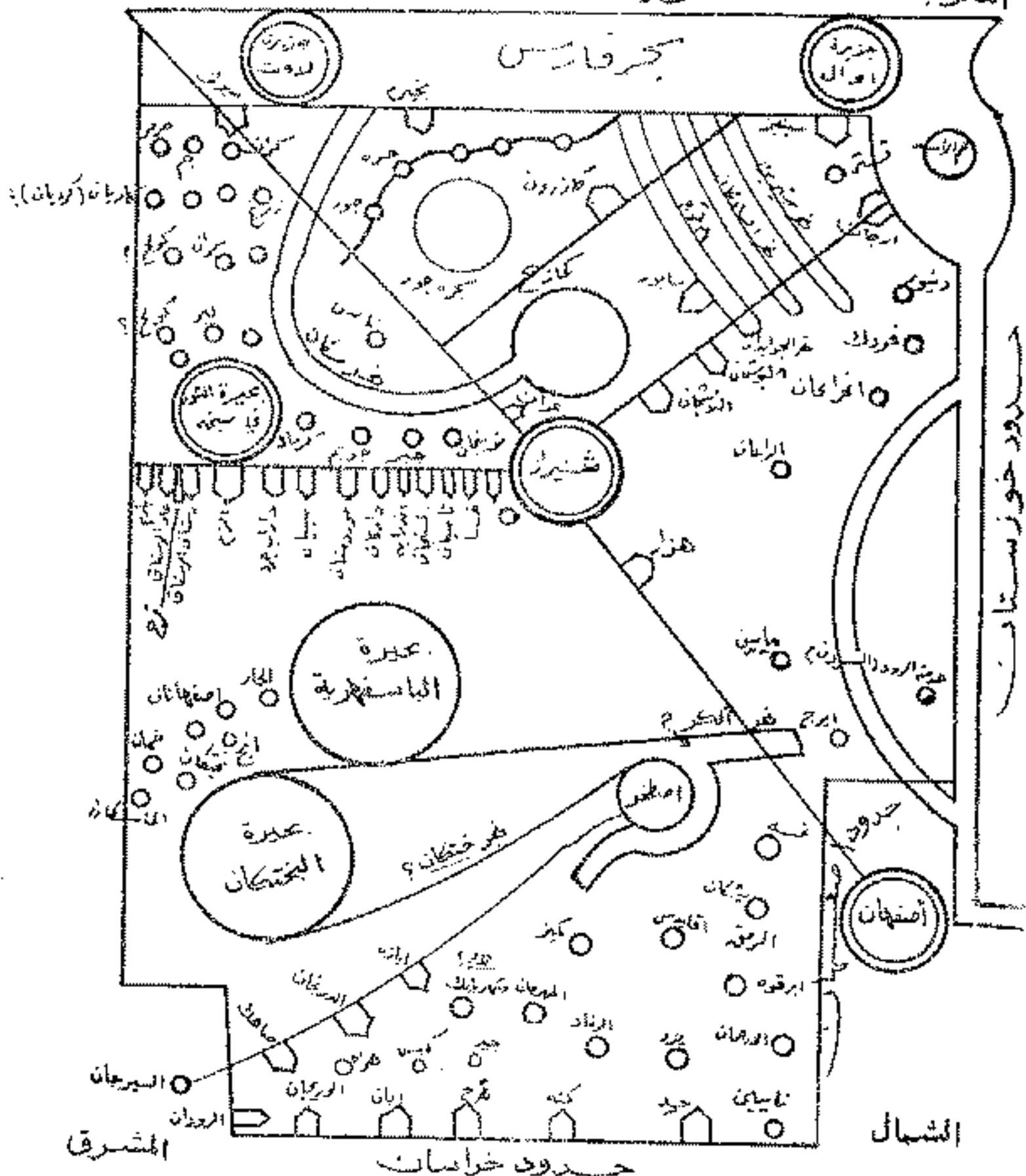


خريطة رقم 4

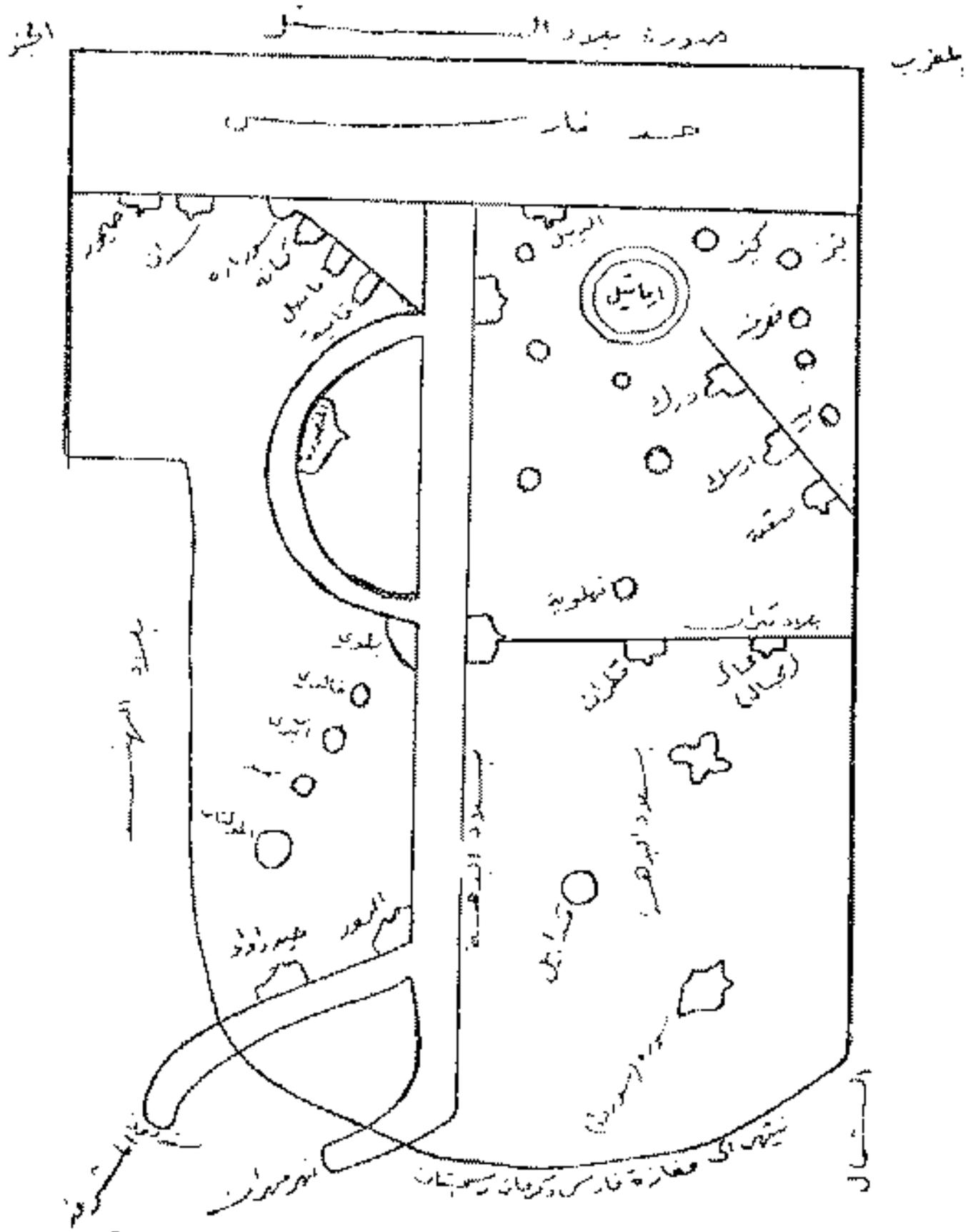
الجنوب

صورة فارس

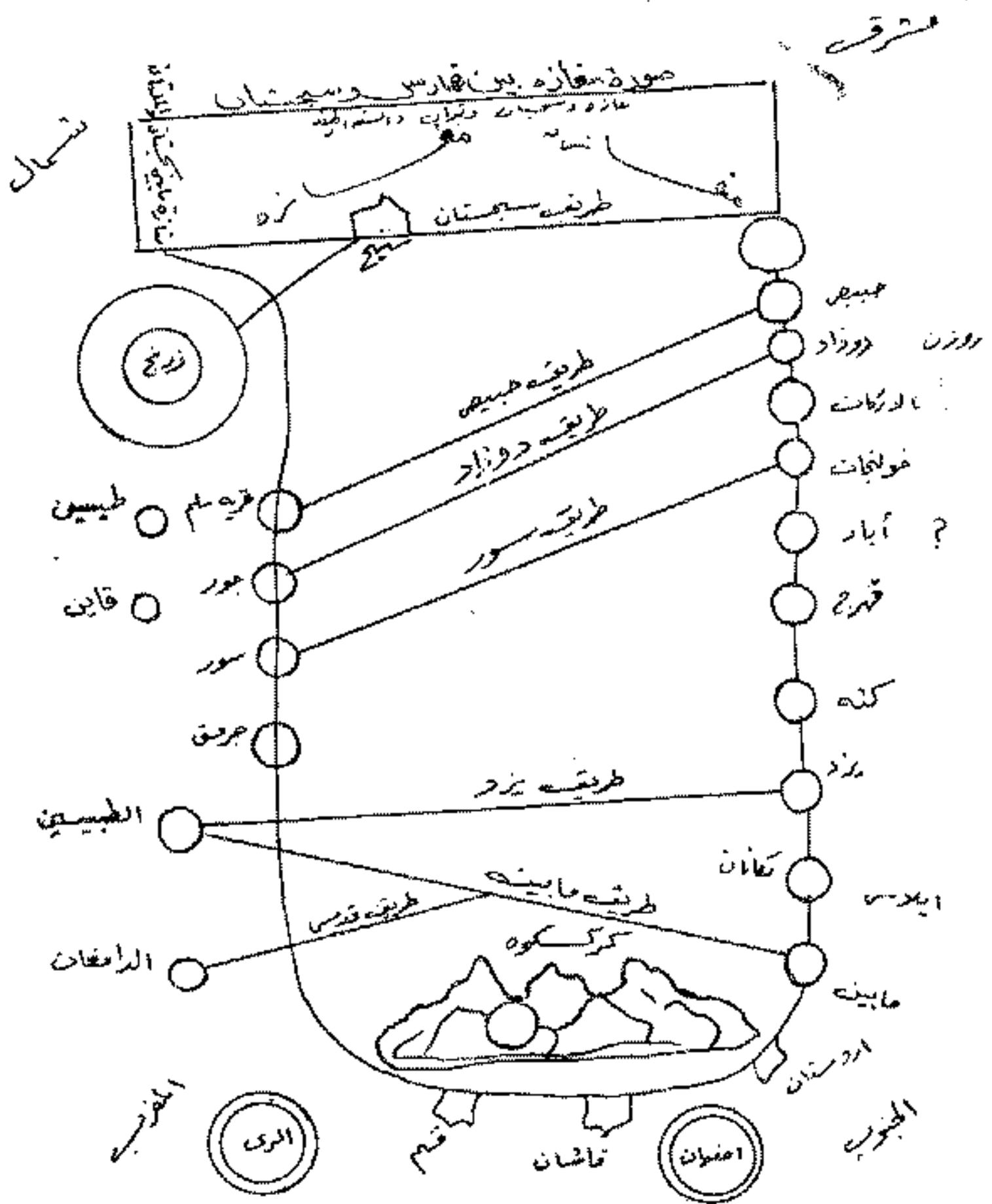
المغرب



خريطة رقم ٩



خريطة رقم ١١



خريطة رقم ۱۶

